

## «سادوس المحظورات» يحاصر المترجمين

هناك ما هو هزلي وهناك ما هو سوقي في عالم الترجمة



الترجمة ليست لغتين فحسب (لوحة للفنانة غلناز فتحي)

يا عباد الله قولوا.. يا ترى.. ثمة في الجنة أيضا كهراء/ أو فقولوا كيف بالله تضاء/ أم عساها هي أيضا مظلمة؟  
فرق ما بين السما والأرض بين الاثنتين مش كده/ كل شيء وارد بقرآنك يا رب  
إلا هيه.. الكهربية/ وتلاقيها برضه وارده.. طب قولوا لنا في أي سورة.. طمنونا أمال يا هوه.. طمنونا في عرضكم!  
وتناهى من بعيد ضوء ناي.. ثم غطاه نباح/ كانت الجوزة قد دارت طويلا.. في أيديهم فداخت/ وارتمت بالقرب منهم هامدة/ مظلمة يرجع فلاح من الحقل فيلقئ.. نفسه فوق الحصرية/ مجهدا حتى التشل.  
في ضوء الثالث الجديد للمحظورات، فلن يعاد نشر هذه المسرحية ولا غيرها. كأننا على بعد خطوات من أجواء "1984".

فصاحة وجمالا من الفصحى. ولنحجب سرور في مسرحية "ياسين وبهية" مشهد يصوغه بهذه وتلك، وقبل إيراد الصيغتين، يجب التذكير بأنه صرّ المسرحية بهذا البيان:  
الشعر مش بس شعر/ لو كان مقفى وفصح  
الشعر لو هز قلبك / وقلبي.. شعر بصحج.  
المشهد يصور أحد سمر الفلاحين، في عناق الفصحى والعامية، بتلقائية وسخرية تناسب أحوال السكارى:  
دارت الجوزة دورة/ ثم دورة/ قال واحد: ما تقولوا لنا يا مسلمين.. هي برضه الجنة فيها كهريه.. وإن ما كانش قولوا لنا بتونر بابيه.. ولا تطلع هي رخره مهبية/ إن يكن كل الكلام/ بتعايير العوام/ لكم.. أو بعضكم.. غير مريح/ فحذوه بالفضيح.

ما يهمناش في القلعة نبات أو في المحافظة  
ما فيناش واحد خواف..  
من القوة تقوم ما نخاف..  
واخدِين ع العيش الحاف..  
ننام من غير لحاف..  
إحنا التلامذة.. يحيا الجهاد بونجور يا خلائق!  
نضاب وسارق..  
والبرجوازي يستخدم عمال بدراهم.. العامل دا حيوان  
إحنا الشبان  
أهل العرفان  
إحنا التلامذة  
يحيا الجهاد!  
يسجل نجاتي صدقي أن التشديد، بترجمته المصرية، لم يعيش طويلا، إذ سرعان ما تحول إلى تهريج وكففتنا عن ترديده.. لا تمايز في الترجمة أو الإبداع بين فصحن وعامية تكون أحيانا أكثر

بموسكو، تسابق الطلاب العرب إلى ترجمة "التشديد الدولي"، عام 1926، وطمانهم فلايمير أندروفيتش أستاذ اللغة الروسية بان الفلصطيني ميخائيل عطايا (1852-1924)، وأضح القاموس الروسي - العربي سنة 1913، تولى هذه الترجمة، وتبدأ بالنداء "قوموا يا موسومين باللعة"، وتنتهي بالدعوة "هبوا إلى النضال.. هبوا إلى النضال.. وبالإنترناسيونال.. يعلو جنس البشر!". لم تعجبهم ترجمة التشديد، "لأننا وجدناه لغويا أكثر من اللازم"، وشكّلوا لجنة لتبسيطه، ثم أهملوا المشروع نهائيا، وأثر كل منهم أن يردده باللغة الأجنبية التي يجيدها. ثم دعاهم الطالب المصري "عزيز" إلى أن يصوغوا للتشديد ترجمة مشتركة، انتهت بالتوصل إلى تشيد مصري للهجة:  
الدنيا هيه هيه.. والعيشة هيه هيه يا عمي حمزة.. إحنا التلامذة

هناك بعض الجوائز الأدبية والفنية العربية التي تفرض على المبدعين قيدا يبدو غير منطقي، ألا وهو الاحتشام، حيث لا احتشام في عالم الفكر والأدب والإبداع، بل هي عوالم حرة بعيدة عن الأخلاقية السطحية ولصيقة بالأخلاق الجمالية والإنسانية. وأخيرا تسربت هذه المعايير المكبلة إلى عالم الترجمة، الذي كان يعاني سابقا من مترجمين حرفوا النصوص مراعاة للأخلاق المشتركة.

أما نسطور فيناجي ميترفا "وسنصلي لك ونذبح باسمك خير بقرة، لا ذلول تغير الأرض ولا نسقي الحرت، سلمة لأشية فيها". وحين عاد أوبيسيوس للثار، نصح هاليجير أشقياء إيناكا بتجنب لقاء الزوج العائد من التيه "الراي الأتذهبوا، والا تجعلوها فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة".

لا أظن دريني خشية سعى إلى أسلمة خطاب "الإلياذة" و"الأوديسة" في ترجمة جادة، تصدقها بقدر ما تستخف بترجمة هزلية حديثة، يجسدها حوار فيلم "1984" المأخوذ عن رواية جورج أورويل. شاهدت الفيلم منذ ثلاثين سنة، ونسيت ترجمته القديمة، وأظنها تناقض ترجمة بعضها كوميدي لفيلم كابوسي، وقد أعدت مشاهدته قبل أيام في موقع (EgyBest)، وأضحكنني جرأة الترجمة على استخدام لغة سوقية، يترفع عنها المحافظون، وبعض العائشين في غرف العناية الاجتماعية الفاتكة معزولين عن الشارع، حيث تسود هذه اللغة بين الشباب، ويمكن قبولها في حوار هذا الفيلم للتخفيف من قسوته وقناتمه، خصوصا على لسان الجار اللزج بارسونز، وهو يصرخ في بطل الفيلم وينسوتون سميت، حين يفاجأ به في الرزائة "ابتعد عن دين أمي يا سميت". وفي المشهد نفسه، بعد أن يهدأ بارسونز، يخبر سميت بأنه اعتقل بوشاية من ابنته الطفلة "أنا فخور بها فشخ"، أي أنه فخور جدا.

ومن المؤكد أن سميت لا يدرك دلالة كلمة "فشخ" التي تتكرر في هذه الترجمة السوقية، ولكن مترجم حوار الفيلم يضع على لسان سميت جملة هزلية، وهو يلتمس الرحمة من مسؤول الحزب القومي أوبريان، ويقدم إليه دليلا على الطاعة "love you"، فتكون الترجمة "أحبك في الإسلام".

ويبدو أوبريان، ذو الروح المتصخرة، ساديا غير متأثر بسأي كلام في الحب أو الإسلام، بل إنه يهدد سميت بعذاب مستحيل احتماله، بإطلاق الجردان المسعورة "تنقب الخدود وتلتهم اللسان". ويعلق مترجم الحوار "إيه ابن الوسخة ده".

نحن أمام سادوس رهيب، يكون معه الخيار محدودا بأفكار محتشمة، مستأنسة لا تسبب صداعا: التاريخ الرسمي، البستنة، قصة أبوزيد. وقد يعتذر المركز عن نشره كتب فلسفية بعضها يخوض مع الخاضعين في قضايا تفسر باعتبارها ذات طابع إحصادي والعيان بالله، ثم يكفر عن خطئه بإعاد ما في مخازنه من ترجمات في علوم إنسانية لا تراعي معيار الإيمان.

التوجه السلفي المدرسي سيبقي على ترجمات قديمة راعت هذه الشروط، من دون قصد المترجمين، منهم دريني خشية الذي ترجم في أربعينات القرن العشرين "الإلياذة" و"الأوديسة"، وعينه على البيان القرآني، ففتوجه ميترفا ربة العدالة والحكمة إلى الفتى تليماك بنصيحة ختامها "وعلى الله قصد السبيل".

## العامية والفصحى

في مذكراته، التي أعدها حنا أبوجنا، كتب الفلسطيني نجاتي صدقي أنه أثناء الدراسة في جامعة الشعوب الشرقية

## الأديب السوري سهيل الذيب: المقولات الغربية ليست قانونا أدبيا

لمجتمعنا وبيئتنا وباب التجريب في الحداثة مفتوح للجميع. وعن الأدب خلال الحرب السورية ينشر الذيب إلى أنه لم يكن قادرا على مجارة ما حدث وإنما كان الوجود أشد ضراوة من الخيال لافتنا إلى روايتي "جنوب القلب" لمحمد الحفري و"ماري" لمحمد الطاهر وروايات منصور حاتم. أما في الشعر فالكثيرون خاضوا غمار التجربة وكل هذه التجارب حاولت الارتقاء إلى مستوى الحدث، لكنها كانت مقصرة بسبب فظاعة ممارسات الإرهاب.

ويوضح الذيب أن مجمل أعماله خلال هذه المرحلة من قصة ورواية وشعر ومقالة لم تكن بعيدة عما يجري وإنما من صميم الحدث كقصته "الرياحين" و"موت وقيامسة" إضافة إلى روايتين: الأولى "زناة" التي تتحدث عن الحب في زمن الحرب وتحثفي الأساسية بل هي تسعى إلى تطويرها وربما الحد من صرامتها، فلا بد من تكثيف الصورة والزمن الذي قد يكون فضفاضا، لافتا إلى أنه ليس كل ما يقوله الغرب من عناصر لادب هو القانون وإنما علينا إيجاد إبداعنا الخاص وحدائنا المناسبة

ويشير الذيب إلى أنه يعتبر نفسه هاويا والكتابة عنده ليست ترفا فكريا وإنما هي رصد لمعاناة الناس بكل هيئاتهم وأشكالهم، أما الوطن بكل مكوناته فهو غايته الأولى والأخيرة، وتلك الغاية تنبع من نقد الأوضاع الاجتماعية بصق وشجاعة ومحبة من أجل بناء وطن متماسك ومتين.

ويبين أنه نأى بنفسه عن الساحة الشعرية عندما وجدها تعج بالمتشاعرين واكتفى بالتعبير عن مكوناته الوجدانية بين حين وآخر لافتا إلى أنه يبت ما لديه من شعر في القصة والرواية، فالفنون عموما تتداخل لأنها من مصدر واحد هو الخيال. والشاعرية في القصة أو الرواية ليست شرطا لكنها تضفي إليها المزيد من المتعة والمعرفة. ويوضح الذيب أن الحداثة في الأدب هي العامل الأهم في تحطيم الرائد والارتقاء به نحو آفاق أوسع وذلك لا يعني التخلص من العناصر الأساسية بل هي تسعى إلى تطويرها وربما الحد من صرامتها، فلا بد من تكثيف الصورة والزمن الذي قد يكون فضفاضا، لافتا إلى أنه ليس كل ما يقوله الغرب من عناصر لادب هو القانون وإنما علينا إيجاد إبداعنا الخاص وحدائنا المناسبة

في ليبيا وضربها جويا، ثم توقف عن الكتابة فترة وسافر إلى أمريكا وهناك شارك بمسابقة نال فيها المركز الأول عن قصته "الكاتب الشرطي" ثم طبع مجموعة قصصية حملت العنوان ذاته.

قصة واحدة تغيير مجتمعات بكاملها وهي كما الرواية مشغولة بوعي ودراسة وتبقى عالقة في خيال المتلقي، فالقصة عقل بينما الشعر حواس. أما عن حكاياته مع القصة فقد بدأت عام 1985 بقصة عن الممارسات الأميركية

ديوان صفحات فيسبوك وضاحتها، ما أدى إلى تراجعها وأصبح الشعراء الحقيقيون خارج دائرة الضوء. كما يلت الذيب إلى أن القصة أقدر على محاكاة هموم الناس لديه لأنها تقوم على التفكير وليس الانفعال، وتستطيع

ويوضح الذيب في حوار مع وكالة الأنباء السورية أن علاقته بالأدب تعود إلى الطفولة، حيث بدأ الميل للشعر أولا، ثم عشق الرواية في مرحلة البلوغ، وحين حدثت مجزرة قانا في لبنان تفجر حس الشاعر في وجدانه ليكتب قصيدة أخذت نصف حجم ديوانه الأول "العريس والساقطة" كما نشرها في صحيفة الثقافة لمحتك عاش عام 1985.

ولفت الذيب إلى أنه بقي هاويا ولم يمتحن الإبداع الأدبي إلا بعد تقاعده من العمل الصحفي في جريدة تشرين حيث شارك لأول مرة بمسابقة المزرعة في السويداء بقصة عنوانها "الكاتب الشرطي" فازت بالمركز الأول، ليتمكن من الاعتراف أمام ذاته أنه قاص وبيدا الكتابة في القصة ثم الرواية ويقل من الشعر الذي بقي هوية يعبر فيها عن حالة وجدانية معينة.

وبين الأديب أن سبب تعلقه بالشعر في شبابه هو وجود شعراء كبار بارزين في تلك المرحلة كالجواهرى وشوقي وقباني ودرويش وبرجيلهم تراجع الشعر كثيرا ولم يعد ديوان العرب بل



الكتابة ليست ترفا